

زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي

دورها التربوي، ومواكبتها لحركة الإصلاح والنضال الوطني

The Zawyia of Sheikh Abdul Rahman Al-Yalouli

*Its educational role, and its keeping pace with the
reform movement and national struggle*

سعيد بورنان¹، أستاذ محاضر "أ" جامعة مولود معمري - تيزي وزو (الجزائر)

said.bourenane@ummtto.dz

تاريخ الاستلام: 2025 /10/03 تاريخ القبول: 2025/11/21 تاريخ النشر: 2025/12/31

ملخص:

زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي ، زاوية رائدة منذ تأسيسها في القرن السابع عشر، لخصائصها ونظامها المحكم الذي وضعه مؤسسها، وقد ازدادت تميزًا في عهدها الأخير الذي امتد فيما بين عامي 1930م و1957م. ففي هذه الفترة تميّزت بارتفاع مستوى أساتذتها الذين كانوا يُنتقون من بين خريجي الأزهر والزيتونة، وتطور مناهجها التعليمية، وانفتاحها على الفكر الإصلاحي والتحرري، وفتح أبوابها للمؤثرات الخارجية (زيارات، محاضرات، صحف). فكانت بحق قلعةً للعلم، وفضاءً لتعبئة الرجال للانخراط في الحركة الإصلاحية والنضال السياسي، ثم في الثورة التحريرية فيما بعد. وفضلا عن ذلك، فقد استمر تأثير الزاوية حتى بعد الاستقلال، وذلك من خلال خريجها الذين أسهموا في خدمة الوطن بفكرهم وأقلامهم، ومن خلال المهام والوظائف التي تقلّدوها في مختلف القطاعات.

الكلمات المفتاحية:

الزاوايا، عبد الرحمن اليلولي، الإصلاح الديني في الجزائر، التعليم في المدارس القرآنية.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

Since its establishment in the 17th century, the Zawyia of Sheikh Abdel Rahman al-Yaluli has played a pioneering role in religious, educational, and national life. It reached a peak of distinction between 1930 and 1957, marked by the presence of elite scholars, many of them graduates of Al-Azhar and Al-Zaytuna, along with a modernized curriculum, openness to reformist and liberal ideas, and engagement with external influences through lectures, publications, and intellectual exchange. The Zawya became a beacon of knowledge and a center for reformist and nationalist mobilization, actively contributing to Algeria's Liberation Revolution. Its impact continued after independence through its graduates who served the nation in various intellectual, administrative, and civic capacities. Key words.

Keywords :

The Zawyas; Abderrahman Al-Yaluli; Religious reform in Algeria ; Education in Koranic schools.

● مقدمة:

زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي، هي إحدى المؤسسات الدينية والتربوية الشهيرة في منطقة القبائل، وهي ذات تاريخ حافل في خدمة الدين والعلم والمجتمع، وفي معركة الحفاظ على الهوية الثقافية والروحية للشعب الجزائري خلال فترة الاحتلال الفرنسي. إنَّ الغرض من هذا البحث ليس دراسة تاريخ هذه الزاوية الذي يمتد لأكثر من ثلاثة قرون، فمقال في مجلة لا يمكن أن يفي ولو بالقليل من ذلك، وإنَّما الغرض هو أن نسلط الضوء على جهود هذه الزاوية في مجال التربية والتعليم، وانخراطها في معركة النضال من أجل التحرير في المرحلة الأخيرة من عمرها، وبالتحديد الفترة ما بين 1930 و1957م.

إن الذي جعلنا نختار هذا الإطار الزمني هو ما تميَّزت به هذه الزاوية عن غيرها من زوايا القطر الجزائري خلال الفترة المذكورة، خاصة ارتفاع مستواها التعليمي، واحتضانها للفكر الإصلاحي والوطني،

وهذا فضلا عن الخصائص التي عُرفت بها الزاوية منذ القدم، كاستقلاليتها، ونظامها المحكم القائم على قانونها الفريد من نوعه الذي وضعه مؤسس الزاوية.

ومن هنا جاءت الإشكالية الأساسية للموضوع المتمثلة في التساؤل الآتي: فيما تتمثل مساهمة الزاوية في النضال الوطني بمختلف أشكاله خلال فترة الدراسة؟

ومن هذه الإشكالية تنبثق عدة تساؤلات أهمها:

- ما سرّ المستوى التعليمي المتميّز الذي بلغته الزاوية خلال فترة الدراسة؟

- ما هي العوامل التي جعلتها قريبة في توجهاتها من الفكر الإصلاحي؟

- ما علاقة الزاوية بالتيار الوطني الاستقلالي؟

- وما دور الزاوية خلال حرب التحرير؟

تلك هي الأسئلة التي نسعى للإجابة عنها في هذا البحث، وذلك من خلال تحليل ما توفر لدينا من معطيات تاريخية استقيناها أساسا من شهادات - شفوية ومكتوبة - ووثائق أرشيفية، فضلا عن بعض الكتابات والدراسات التي تطرقت إلى الموضوع، بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

1. التعريف بالزاوية:

تُنسب الزاوية لمؤسسها العالم القرآني الشيخ عبد الرحمن اللولي. وهو أبو زيد عبد الرحمن بن يسعد المصباحي الخردوشي اللولي الزاوي، ولد حوالي 1430هـ/1607م، بقرية "إخردوشن" الواقعة بجبل "إيلولة" أو "مُلَلُولَم" على يد والده، ثم بزاوية الشيخ أحمد بن إدريس، ثم بزاوية "ميزرانة" قرب تيقزرت. وصفه صاحب "أوضح الدلائل" بقوله: «هو الولي الصالح، المرشد الناصح، المقرئ الخاشع، القدوة النافع.. وحيد زمانه، وفريد عصره في حفظ القرآن وروايته بالقراءات السبع والعشرون¹ سنة 1105هـ/1697م ودفن بجوار زاويته أسس الشيخ عبد الرحمن زاويته سنة 1635م، وقد اختار لها مكانا عاليا هو جبل "يلولة"² بمنطقة القبائل الكبرى. ومما لا شك فيه، أنّ الشيخ قد اختار لزاويته هذا المكان لتكون بعيدة عن العمران، ففي ذلك ما يؤقّر السكينة والهدوء، ويعين على العلم والعبادة والتأمل.

اختصّت الزاوية بتدريس القراءات وحدها حتى 1263هـ/1847م، حيث أدخلت فيها علوم أخرى رغم الظروف الصعبة المفروضة على الزوايا خلال عهد الاحتلال الفرنسي، فقد حافظت هذه الزاوية على مكانتها، ولا أ

¹ - محمد السعيد بن زكري، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل تحقيق وتعليق محمد عبد الحليم بيشي، دار البصائر الجديدة، الجزائر 2016، ص 105.

² - بمقتضى التقسيم الإداري الخليلي للزاوية في بلدية "إيلولة"، دائرة بوزقان، ولاية تيزي أول في فترة الاحتلال الفرنسي فإنّ إيلولة أو مالوكان عرشا تابعا لبلدية سيباو الأعلى المختلطة (عزازقة).

³ - ابن زكري، مرجع سابق، ص 115-116.

على ذلك من أسماء العلماء الذين تخرجوا فيها في هذا العهد من أمثال: أبو القاسم البوجليلي، الشريف الإفليسي محمد السعيد بن زكري، السعيد الجري، علي أولخيار، أبو يعلى الزواوي، وغيرهم كثير.

ومع أنّ الزوايا كانت في الغالب ملكيات خاصة، تملكها عادة أسر مرابطية، فإنّ هذه الزاوية تمثل استثناءً بهذا الشأن، فهي مستقلة لا يملك أمرها شيخ أو أسرة، إذ يديرها مجلس استشاري يتألف من إثني عشر طالبا يختارون وفق معايير هي: الكفاءة، والأخلاق، والسلوك الحسن، وهم الذين يسيرون التعليم، ويراقبون الطلبة، ويقومون بشؤون التّموين، وتعتبر بذلك زاوية فريدة من نوعها في القطر الجزائري.

هذا وقد عبّر الضابط الفرنسي "هانوتو" وزميله "لوتورنو" عن إعجابهما بالنّظام الذي تسير عليه هذه الزاوية، ووصفها بـ "جمهورية الطلبة"، وأشارا إلى أنّ عدد الطلبة بها حين زارها سنة 1867م، كان يتراوح بين 70 و80 طالبا². وبالفعل كانت الزاوية تُسيّر من قبل الطلبة، وفق قانون محدّد هو في غاية الدّقة والشّمول والإحكام، لم يدع صغيرة ولا كبيرة مما يُحتاج إليه في تسيير أمور الدراسة، والتّموين، والأعمال، ومعاقبة المذنبين، وغير ذلك، إلّا وتكلم عنه³، وهو يُطبّق بصرامة. ومن بنود هذا القانون ما اشترطه مؤسس الزاوية: أن تكون زاويته مفتوحة لكل طالبٍ علمٍ من مختلف الجهات، إلّا طلبة عرشه وأقاربه. ويرمي هذا الشّروط إلى إبعاد أيّ شكل من أشكال التّوريث أو التسلّط على الزاوية من الأقارب وأبناء العشيرة، وهذا شرط عجيب، إذ يحرم أقاربه من الدراسة في زاويته في سبيل المصلحة العامة! والعجيب أيضا أنّ هذا الشّروط الذي وضعه المؤسس منذ قرون بقي محترما، فلم ينتظم في سلك طلبة الزاوية إلّا الأبعد⁴!

ومما عُرفت به زاوية عبد الرحمن اللبلي، حرص طلبتها على ألا يتولى التدريس بها إلّا من ذاع صيته، وعُرفت كفاءته من العلماء، فكان من أساتذتها في بداية القرن العشرين:

¹ - محمد الصّالح الصّديّوماذا تعرف عن زاوية الشيخ عبد الرحمن اللبلي في العصور العشرة الأولى، 9 جويلية 1981.

² - A. Hanoteau, A. Letournoux, *la Kabylie et les coutumes kabyles*, T2, éditions Bouchène, Alger, 2003 p.91.

³ - للمزيد عن نظام الزاوية، أنظر: أوضح الدلائل مرجع سابق. وأيضا: محمد نسيب زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، دمشق- الجزائر، د. ت.

⁴ - محمد الصّالح الصّديّ، شهادة بتاريخ 2016/08/10م. وذكر لي الأستاذ أيضا أنّ ضابطا فرنسيا أعجب بقانون الزاوية عند زيارته لها أثناء الاحتلال، فأمر بترجمته، ثم أخذه وجعله نظاما لإحدى الثكنات العسكرية بنواحي الحراش. سألته عن مصدر هذه المعلومة فأكد لي أنّه لم يقرأ هذه المعلومة في مصدر مكتوب، إلّا أنّها تواترت عن عدد من شيوخ المنطقة.

- الشيخ الشريف الإفليسي، من قرية "تمليلين" بالقرب من تيقزيرت، درّس في العديد من الزوايا، آخرها زاوية عبد الرحمن اليلولي التي قضى بها مدرّسا 16 عاماً، فيما بين: 1901-1917م¹.
- الشيخ السعيد الجري²، وهو خريج هذه الزاوية، ومن طلبة الشريف الإفليسي بها. تولى التدريس بالزاوية لمدة سبعة أعوام، في الفترة بين: 1918-1925م.
- الشيخ الطيّب شنتيري³، من قرية بوجلليل، بلدة آقبو، تولى التدريس بها في الفترة بين: 1929-1945م، وغادر الزاوية لأسباب صحية، وتوفي في 1945م.

2. شيوخ الزاوية في فترة الدراسة وجهودهم التربوية:

فيما يتعلق بالفترة التي يتناولها هذا البحث، فقد تولى التدريس في الزاوية نخبة من العلماء والمشايخ، وهم:
- الشيخ المولود بن الصديق الحافظي⁴ (1880-1948م)، من "آث حافظ" بنواحي سطيف. مصلح وفلكي، وخريج جامع الأزهر. عاد من مصر إلى الجزائر في 1922م، وانخرط في العمل الإصلاحي فاشتغل في ميادين: الكتابة والتعليم، والإفتاء وإصلاح ذات البين. شارك في تأسيس جمعية العلماء في 1932م، ثم انسحب منها وترأس جمعية علماء السُّنة في 1932م، ثم انسحب منها أيضا واستقل بجهوده الإصلاحية في الميادين المذكورة.
تولى الحافظي التدريس بزاوية عبد الرحمن اليلولي لفترةين: الأولى من أواخر سنة 1929م إلى آخر جوان من سنة 1933م⁵، عمل خلالها على إصلاح برامج التعليم وأساليبه وإدخال علوم حديثة كالجغرافيا والفلك إلى جانب الفقه، والتوحيد، وعلوم اللغة التي كانت تُدرس بالزاوية من قبل⁶.

¹ - عنه أنظر: محمد الصّالح الصّديق أعلام من منطقة القبائل ج2، دار هومة، الجزائر، ط1، 2013، ص 28-19. لنفس الكاتب أيضا الشهيد الشيخ محمد الطاهر حفيد الشيخ الشريف الإفليسي الأمل، تيزي وزو (الجزائر)، ط1، 2017، ص 57 وما بعدها.

² - محمد الصّالح الصّديق، أعلام من المغرب العربي، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2008، ص15. أيضا: محمد حسن علي، وعبد الرحمن علي، الشيخ السعيد الجري، نصف قرن عن رحيله، دار الأمل، د.ت، ص24-25.

³ - محمد الصّالح الصّديق أعلام من منطقة القبائل ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص42-49.

⁴ - عنه أنظر: محمد الصغير بن لعالم من زواوة ج1، دار الأصاله، الجزائر، ط3، 2019، ص162-181.

⁵ - هذا ما تفيد به العديد من التقارير الفرنسية الموجودة في أرشيف ما وراء البحار المتعلقة بسير التعليم بهذه الزاوية.

⁶ - A.N.O.M, Aix-en-Provence, 91505/52, Rapport, 23/06/1932.

ومعروف عن الحافظي أنه كان متضلعا في علم الفلك. ولصيته الذائع فقد ارتفع عدد الطلبة في الزاوية في هذه المدة إذ أصبح يتراوح بين 95 إلى 105 طالب في كل موسم دراسي¹.

أما الفترة الثانية التي تولى فيها الحافظي التدريس بالزاوية فكانت في 1946م، وتشير ورقة مخطوطة إلى أن العلوم المدروسة في بداية هذه الفترة هي: الفقه، التوحيد، الحديث، الفرائض، النحو، الحساب، الهندسة، الجغرافيا، التاريخ، الأخلاق، الإنشاء. والورقة عبارة عن برنامج الدراسة بالزاوية حرره الحافظي بتاريخ 1 أفريل 1946م. وقد تضمن أسماء العلوم والحصص الدراسية وأوقاتها خلال أيام الأسبوع وحسب محمد الصالح الصديق فقد صارت الزاوية في هذه الفترة أيضا مقصدا للطلبة من مختلف المناطق، وأن الحافظي كان حريصا على إفادة طلبته وتحسين مستواهم العلمي بمختلف الوسائل، منها الاحتفال بالمناسبات الدينية، وهي سنة استتمها الحافظي في المعهد لغرض تمرين الطلبة على الكتابة والخطابة، فكان يختار لهم الموضوعات الهادفة ويوزعها عليهم ليكتبوا فيها أو يرتجلون، ومنها أيضا التمثيل، فكان أحيانا يعد تمثيلية دينية هادفة يمثلونها في بعض هذه المناسبات

وحسب شهادة بعض طلبته، فقد كان الحافظي خلال مزاولته العمل بالزاوية دائما وراء طلبته بالنصح والتوجيه، فكان يشجعهم على القراءة المفيدة، ويحثهم على الاستزادة من العلم، ويوجههم نحو أسباب الفلاح، وينفخ فيهم روح الوطنية، ويؤكد لهم أن مصير البلاد إلى أيديهم، ولا يؤول إليهم أمرها إلا إذا تعلموا وتكونوا تكويناً صحيحاً، واستطاعوا أن يواجهوا الحياة ويصمدوا لشدائدها وأهوالها⁴، فكان لذلك أثره الطيب في توجيه الطلبة وتكوينهم العلمي.

هذا ومن مآثر الحافظي بهذه الزاوية، الساعة الشمسية التي أنشأها في ساحتها خلال هذه الفترة، وقد دُمرت مع تدمير الزاوية أثناء الثورة التحريرية، وما زالت آثار الساعة باقية تدل على براعة الشيخ، ومعارفه العلمية في الفلك.

- الشيخ الرزقي الشرفاي⁵ (1877-1944م)، اسمه الحقيقي قازو أرزقي، وهو من قرية شرفاء بهلول بالقرب من مدينة عزازقة بولاية تيزي وزو. درس بزوايا المنطقة ثم لزم دروس الشيخ عبد القادر

¹ - هذه الإحصائيات مستقاة من تقارير أرشيفية حول الزاوية

(A.N.O.M, Aix-en-Provence, 91505/52, Rapports. 23/06/1932, 20/01/1933)

² - تؤكد هذه الوثيقة أن تاريخ التحاق الحافظي بالزاوية هو 1946م، وليس سنة 1947م كما ذكر البعض.

³ - محمد الصالح الصديق أعلام من المغرب العربي ج1، مرجع سابق، 242.

⁴ - نفسه، ص 240.

⁵ - للمزيد عنه أنظر: سعيد بورنالشيخ الرزقي الشرفاوي الأزهرية وجهاده الفكري، رسالة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس (الجزائر) 2019.

المجاوي بمدينة الجزائر سنتين أو ثلاث. التحق بالأزهر سنة 1907م، وهناك عاش ظروفًا قاسية أيام الطلب، ولكنه كابد وصبر حتى نال شهادة العالمية سنة 1921م. درّس بمصر سنوات ثم عاد إلى الجزائر سنة 1933م، وقضى باقي حياته مدرّسًا بزاوية عبد الرحمن اليلوي، عدا عاما واحدا قضاه في زاوية "سيدي موسى تينذار" بسيدي وغيليس، بجهة آقبو ولاية بجاية.

انتصب الشرفاوي مدرّسا بالزاوية سنة 1933م، فاجتهد منذ البداية في إصلاح التعليم بها، فوضع برنامجا للتعليم أدخل فيه مواداً جديدة لم تكن موجودة من قبل، كالتفسير وشرح الحديث وأصول الفقه، كما طوّر تدريس المواد التقليدية المعروفة كالفقه والنحو والصّرف والتوحيد والتاريخ، واهتم كثيرا بدراسة الأدب العربي من شعرونثر، وأدخل مادة الإنشاء لرفع مستوى الطلبة في اللغة، لأنّها السبيل لفهم بقية العلوم، واختار لكل علم من العلوم كتابا أو كُتبا يتدرج الطلبة في دراستها، وألّف كتاباً في الإنشاء خصيصاً لطلّبه، بعد أن رأى أنّ الحاجة ماسة إلى ذلك، لأنّه - كما قال - لم يجد من بين الكتب المتداولة ما يُناسب مستوى الطّلبة¹.

وعمل الشّيخ على تحسين أسلوب التعليم في الزاوية، وحرص على إخراج الطلبة من ربة الجمود الفكري والتقليد الأعمى المسيطر على العقول، فكان يدعوهم لحرية التفكير وإعمال العقل، ويشجّعهم على التفتح على الفكر الإصلاحي. كانت دروس الشّيخ تبدأ بعد صلاة الصّبح، وتستمر إلى ما قبل صلاة العشاء، بلا توقف إلّا لأداء الصّلاة وتناول الطّعام والشّاي وأخذ قليل من الرّاحة، فكان الشّيخ يقضي في تدريس طلبته أكثر من عشر ساعات في اليوم الواحد²!

- الشّيخ محمد القاضي الصّدوقي³ (1869- 1966م): من قرية "ثقاعت" دوار مسيسنة، بلدية

صدوق ولاية بجاية. وهو من قدماء الطلبة بزاوية عبد الرحمن اليلوي، هه شيوخه فيها: السّعيد اليجري، الشّريف الإفليسي، أحمد أوبلقاسم البوجليلي. درّس في العديد من زوايا القبائل الصغرى والكبرى، ثم عاد إلى مسقط رأسه أين تولى الإمامة والإفتاء وإصلاح ذات البين، وهي المهام التي واصلها خلال الثورة التحريرية التي أيّدها ودعا إلى تأييدها، ما جعله عرضة لمضايقات الاستعمار وعملائه. توفي في 1966م.

تولى التدريس بالزاوية خلال السّنة الدراسية 1938/1939م، وهي السّنة التي غاب فيها الشّيخ الشرفاوي عن الزاوية. كانت دروس الشّيخ القاضي خاصة في علوم: الفقه، والنحو، والقراءات. بلغ

¹ - الزّقي الشرفاوي، الدروس الإنشائية لطلبة الزوايا الزاوية (مخطوط)، ص1.

² - أفادني بهذا طلبة الشّيخ منهم: يحيى التّومي، شهادة بتاريخ 2014/06/18م. الحاج محند السّعيد أمقران، شهادة بتاريخ 2014/02/26م. ومحمد الصّالح الصّدقي في كتاباته وشهاداته.

³ - عنه أنظر: محمد الشّريف بن الشّيخ، الماضى دار الحبر، الجزائر، 2009، ص257-268.

عدد طلبته خلالها 80 طالباً¹. وقد غادر الزاوية مع انتهاء السنة الدراسية، ليعود إليها الشرفاوي مع بداية السنة الدراسية الموالية، حيث لازم التدريس بها بقية حياته كما ذكرنا.

كان عدد طلبة الزاوية خلال عهد الشيخ الشرفاوي لا يقل في الغالب، عن مائة طالب في كل موسم دراسي²، لكن بعد وفاة الشيخ في آخر سنة 1944م تدهور حال الزاوية، إذ لم تمض سوى أيام قليلة على غياب الشيخ، حتى أخذ الطلبة يغادرونها تباعاً، ووقع خلاف حاد بين من بقي فيها حول أمر تسييرها انتهى بهم إلى الانقسام، فالذين ينتمون إلى القبائل الكبرى أخذوا الزاوية، وفرضوا عليها وجودهم، والذين ينتمون إلى القبائل الصغرى استولوا على المزرعة بـ "أقبو"، وفي كل من الزاوية والمزرعة عدّة اقتصادية كاملة مما جعل كل فريق في غنى عن الآخر، وقد استمر هذا الخلاف وهذا الوضع شهوياً انتهى بتسوية من قبل طلبة الزاوية القدامى³، واستعادت الزاوية بعد ذلك قيمتها بعد أن أتوا بشيوخ آخرين، وهم: الشيخ عبد القادر زروق، من بلدة "بوقاعة" بولاية سطيف، وهو من طلبة الشيخ بن باديس، وحامل لشهادة التحصيل من جامع الزيتونة⁴. والشيخ المولود الحافظي الذي عاد إلى الزاوية للمرة الثانية، وقد سبق الكلام عن جهوده التربوية في هذه الفترة، ثم الشيخ محمد الصالح الصديق الذي سيأتي الحديث عنه وعن أساتذة آخرين زيتونيين مثله، عملوا معه في فترة الخمسينات.

- الشيخ محمد الصالح الصديق، من مواليد 1925م بقرية "أيزار"، بولاية تيزي وزو. درس على الشيخ الشرفاوي بزاوية عبد الرحمن اليلولي، ثم واصل دراسته بجامع الزيتونة. عاد إلى الجزائر 1950م، وتولى التدريس بالزاوية نفسها مدة ستة أعوام. انخرط في الثورة التحريرية منذ اندلاعها واستمر ينشط

¹ - A.N.O.M, Aix-en-Provence, 91505/52, Rapport du Caid, 06/01/1939.

² - كثيراً ما كان عددهم أكثر من ذلك. فعلى سبيل المثال، في سنة 1935م كان عددهم 127، وفي سنة 1940م 120، وفي سنة 1942م 139، وفي سنة 1944م، وهي السنة التي توفي فيها الشرفاوي كان بالزاوية 130 طالباً. معلومات مستقاة من الأرشيف الوطني لما وراء البحار، العلبة الخاصة بزوايا بلدية سيباو الأعلى المختلطة:

(A.N.O.M, Aix-en-Provence, 91505/52)

³ - محمد الصالح الصديق في شريط الذكريات ج3، مرجع سابق، ص55، أيضاً: رحلتي مع الزمان ج1، دار هومة، الجزائر 2010، ص 193. أيضاً: شهادته بتاريخ 2014/04/10م.

⁴ - شهادة الشيخ محند واعلي بلخامسة، بتاريخ: 2014/02/12م، من مواليد 1927م، ومقيم بمدينة عزازقة. أيضاً تقرير فرنسي، أرشيف ما وراء البحار، بدون تاريخ.

لصالحها سرّاً إلى أن قرّرت قيادة الثورة إرساله إلى الخارج في ربيع 1955م، فواصل عمله الثوري في ميادين الإعلام والسياسة والدبلوماسية إلى غاية استقلال الجزائر¹

كانت للشيخ تجربة أولى في التدريس بالزاوية حين كان طالباً بها، حيث جعله أستاذه الشرفاوي- مع صغره - من الطلبة المساعدين له في التدريس، إذ كلّفه بإعطاء دروس للطلبة في النحو والبلاغة والبرق والبرق - الشيخ أنّه قام بهذه المهمة قرابة أربعة أعوام، وعمره لا يتجاوز الخامسة عشرة سنة، وأصغر الطلبة الذين يحضرون درسه لا يقل عن عشرين سنة، وقد أنهى خلال هذه المدة ألفية ابن مالك مراراً، ولامية الأفعال، وجوهرة التوحيد، والسمرقندية وغيرها³

وأما عن توليه التدريس في الزاوية في أوائل الخمسينات، فيذكر في مذكراته أنّه حين عاد إلى الوطن من تونس في شهر جويلية 1950م حاملاً شهادة التحصيل، اتّصل به وفد من طلبة زاوية عبد الرحمن اليلولي يعرض عليه رغبة الطلبة في استقدامه للتدريس في الزاوية والإشراف على إدارة التعليم فيها، فما كان منه إلا أن لبى رغبتهم⁴، ويذكر أيضاً أنّه حين بدأ التعليم في الزاوية في أول أكتوبر 1950م⁵، وجد الزاوية مليئة بالطلبة، غير أنّ التدريس فيها يجري بلا منهج ونظام، فجعل الطلبة طبقات، أي مستويات، ولكل طبقة ما يناسبها من دروس، وأسّس مكتبة قيّمة تحوي الكثير من الكتب في مختلف المجالات لتستحدث في الزاوية محاضرة يلقيها

¹ - بعد الاستقلال عاد إلى الوطن ليستأنف جهاده في حقل التعليم والوعظ والإرشاد وفي الكتابة. للمزيد عن حياته أنظر مذكراته، (رحلتي مع الزمان) نُشرت في مجلدين 2010م، وكتابه (في شريط الذكريات)، نُشر في أربعة أجزاء سنة 2016م.

² - محمد الصّالح الصّديق، شهادته بتاريخ 2013/11/09م.

³ - محمد الصّالح الصّديق، رحلتي، ج 1، ص 163. ويذكر الكاتب أنّ قانون الزاوية يُعفي أبناء الشيخ أو من يقوم مقامهم، كطالب يأتي به من أقاربه أو أصدقائه أو معارفه، من كل الأعمال التي كان يتداول القيام بها الطلبة، سواء داخل الزاوية أو خارجها، ولما لم يكن للشرفاوي ابن قام هو - باعتباره شقيق زوجته - مقام ابنه فأعفي من كل عمل، فكان بذلك محظوظاً، حيث تفرّغ للدراسة، وتوفّر له الوقت أكثر من غيره. المصدر نفسه، ص 135-136.

⁴ - محمد الصّالح الصّديق رحلتي، ج 1، ص 297.

⁵ - يذكر الأستاذ دائماً في كتبه أنّ عودته من تونس والنحاقه بالزاوية اليلولية مدرسا 1955م في لكتبة ما عثرت عليه في مقال البصائر: (حركة الجمعية بالديار القبائلية)، الذي سيأتي ذكره، يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنّه عاد صيف 1950م، وبدأ التدريس بالزاوية في خريف هذه السنة، وقد راجعت الأستاذ في ذلك فاتّضح له أنّ ممكن الخد أخذ بشهادة التحصيل المؤرّخة في 1951م، في حين أنّ عودته كانت في 1950م بعد اجتياز الامتحانات، أما صدور شهادته فقد تأخّر لظروف عرفها جامع الزيتونة آنذاك.

على الطلبة في ليلة الجمعة بعد صلاة المغرب في مختلف المواضيع ترمي إلى تربية الطلبة روحيا ووطنيا، وجعلهم يتفتحون على العصر ويتطلعون إلى المستقبل

ويعلق الأستاذ على محتوى هذه المحاضرات فيقول: «ما يثير دهشتي عندما أفكر في هذا العهد، وخاصة عندما كنت أُلقي محاضرات لطلبة زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي، كيف كنتُ أتحث عن الاستعمار، وعن جرائمه وفضائعه في الماضي والحاضر، ولفرنسا عيون في كل مَكْلُوفٍ هذا النجاح الذي تحقق على يده، فإنَّ الأستاذ يعترف بأنَّ ما أحدثه في الزاوية من تطوير ما كان ليتحقق لو لا ما وجده في مجلس الطلبة من التفاهم والتجاوب والتعاون، والرغبة الشديدة في أن تنهض الزاوية هذا وقد سجلت البصائر الإنجازات التي عرفتها الزاوية في هذه الفترة، وذكرت أنَّ عدد الطلبة في الزاوية يتراوح بين 110 و120 تلميذاً⁴.

- أساتذة آخرون: خلال الفترة التي قضاها الأستاذ محمد الصَّالِح الصَّدِّيق في زاوية عبد الرحمن اليلولي بين 1950 و1956م، استقدمت الزاوية - باقتراح منه - مجموعة من الأساتذة لمساعدته في التدريس، والملاحظ أنَّ هؤلاء الأساتذة كانوا كلَّهم خريجي جامع الزيتونة، وكلَّهم حائزون على شهادة التحصيل منه، وللتأريخ نذكرهم فيما يلي، حسب الترتيب:

- الشيخ محمد الشريف بن الشيخ، من نواحي بجاية، توفي سنة 2018م، وهو من طلبة هذه الزاوية قبل أن يلتحق بجامع الزيتونة. تولى تدريس الفقه والنحو والصَّرف، قال عنه محمد الصَّالِح: «كان لي بحق خير عون في مهنتي»⁵.

- الشيخ علي الحمدي، من القيروان بتونس، قضى سنة واحدة في الزاوية. ذكر الأستاذ محمد الصَّالِح أنَّ الطلبة تعلَّقوا به تعلُّقاً شديداً، وتمنوا لو ظلَّ معهم سنة أخرى أو سنوات، لكن أسرته كانت في حاجة شديدة وملحة إليه، فعاد إلى تونس وقلبه معلق بالجزائر، وقلوب الطلبة معلقة به⁶.

¹ - محمد الصَّالِح الصَّدِّيق رحلتي، ج1، ص 297-300.

² - محمد الصَّالِح الصَّدِّيق، شهادته بتاريخ 14/05/2018م.

³ - محمد الصَّالِح الصَّدِّيق رحلتي، ج1، مرجع سابق، ص300.

⁴ - محمد الكوفي، "حركة الجمعية بالديار القبائليَّة البصائر، العدد 159، 11 جوان 1951م.

⁵ - محمد الصَّالِح الصَّدِّيق رحلتي، ج1، مرجع سابق ص301.

⁶ - محمد الصَّالِح الصَّدِّيق أعلام من منطقة القبائل ج1، مرجع سابق، ص69-70.

- الشيخ محمد العربي الجيجلي، عمل في الزاوية في أوائل الخمسينات، وقد أشاد به الأستاذ محمد الصّالح الصّديق أيضاً، وقال أنّه كان قدوة للطلّبة في العلم والأخلاق¹.

- الشيخ الصّادق مشواط، (1920-1994م)، من بني يني بولاية تيزي وزو، دَرَسَ على ابن باديس لمدة سنتين، ثم واصل تعليمه في جامع الزيتونة. اشتغل بعد عودته من تونس بالتعليم بمدارس جمعية العلماء، ثم بزاوية عبد الرحمن اليلولي فيما بين 1954 و1957م. عيّنه العقيد عميروش على رأس مصلحة الأوقاف التي أنشأها في هذه الزاوية. بعد الاستقلال اشتغل في القضاء².

التحق بزاوية عبد الرحمن اليلولي في نوفمبر 1954م، عمل مساعدا للأستاذ محمد الصّالح الصّديق في التدريس، وبعد ذهاب هذا الأخير إلى الخارج بأمر من قيادة الثورة استمر هو في التدريس إلى أن أُخليت الزاوية سنة 1957م، فكان آخر من تولى التدريس في هذه الزاوية.

في ختام هذه النقطة، أسجل ملاحظة نقدية تتعلق بما أورده المرحوم الدكتور أبو القاسم سعد الله في أحد كتبه، إذ يذكر أنّ زاوية اليلولي قد «كسفت بعد ثورة 1871م، وعُطّلت كما عُطّلت زوايا أخرى عديدة، ثم عادت إليها الحياة بعد الاستقلال فأصبحت معهداً دينياً معتبراً»³. فهذا الطرح غير صحيح، فالزاوية - كما رأينا - لم تكن معطلة بعد التاريخ المذكورة، بل سرعان ما استأنفت نشاطها، وظلت، إلى سنة 1957م، عامرة بالطلبة، حافلة بالعمل التربوي، وقد تخرّج منها أجيال من الطلبة أسهموا في نشر العلم وخدمة المجتمع.

3. تفتح الزاوية على الفكر الإصلاحي:

إنّ طريقة التسيير الجماعي لزاوية عبد الرحمن اليلولي، وبعدها عن الخرافات، قد ساعد على تقبل الزاوية لأفكار الإصلاح والتجديد، فقد ذكر الأستاذ باعيز بن عمر أنّ هذه الزاوية كانت في بداية الثلاثينات من القرن العشرين في استعداد تام لهضم أفكار العصر الحاضر، ولقبول كل ما ينشده المفكرون الأحرار من الإصلاحات اللازمة للقطر الجزائري⁴، وأنّ طلبتها قد أبدوا استعدادهم لنصرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست في مطلع شهر ماي 1931م⁵.

¹ - محمد الصّالح الصّديق رحلي، ج2، مرجع سابق، ص123.

² - محمد الصّالح الصّديق أعلام منطقة القبائل ج2، دار هومة، الجزائر، 2013، ص157-161.

³ - أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج3، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص190.

⁴ - الفتى الزواوي، "الزوايا بالزاوية، وما هي الأرقى من الشّهاب ج11، م7، نوفمبر 1931م.

⁵ - باعيز بن عمر، "شعور طلبة الزوايا بالزاوية نحو جمعية العلماء الشّهاب ج8، م7، أوت 1931م.

ويلاحظ أنّ الزاوية المذكورة قد ازدادت تفتُّحاً خاصة أثناء وجود الشيخ الزقي الشرفاوي الأزهري فيها، إذ كانت في عهده الزاوية الوحيدة التي تغزوها صحف العلماء مثل البصائر والشهاب¹، وكان الشرفاوي يحث طلبته المتميزين على قراءة هذه الصّحف² في حين كانت بعض الزوايا تمنع طلبتها من قراءتها، خشية التأثير بالفكر الإصلاحي، فلا يقرؤونها إلا خفية، وإذا وجدت الجريدة عند طالب عُوقب وهُدّد بالطرد من الزاوية، واعتُبر مشوّشا ومتمردا يجلب المشاكل لصاحب الزاوية، ويُسبب في غلق زاويلته وجدير بالذكر أيضا أنّ الشرفاوي كان على علاقة طيّبة ووطيدة برئيس جمعية العلماء الإمام عبد الحميد بن باديس⁴، وكذا مع شيوخ الجمعية البارزين أمثال: الطيّب العقبي، وأبو يعلى الزواوي، وباعزيز بن عمر، ومحمد العيد آل خليفة، فكان حين يذهب إلى مدينة الجزائر ويمكث بها يومين أو ثلاثة، يزورهم ويعقد معهم مجلسا يتحدثون فيه عن واقع الجزائر ومستقبلها⁵. فضلا عن ذلك فإنّ الشرفاوي قد نشر مقالاته العديدة في الثّبات، والبصائر، والأمة، وهي كلّها صحف إصلاحية، ثم إنّ الكثير من طلبته قد أصبحوا خلال الخمسينات معلمين في المدارس الحرة التابعة لجمعية العلماء، سواء في منطقة القبائل أو خارجها منهم على سبيل المثال لا الحصر: أحمد قادري، نعماني مكي، العربي بن عيسى، محمد سعيد عدنان.. إلخ. ومن طلبته أيضا من تولوا الإمامة في القرى، فساهموا في نشر الأفكار الإصلاحية التي تشبّعوا بها من دروس أستاذهم في الزاوية.

هذا وقد استمرت تفتح الزاوية على الحركة الإصلاحية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثّانية، خاصة في فترة الخمسينات حين كان بها الأستاذ محمد الصّالح الصّديقي مدرّسا، حيث كانت جريدة البصائر وغيرها من الجرائد مثل "المنار" (الجزائرية طبعاً) يقرأها طلبة الزاوية. وذكر لي الأستاذ محمد الصّالح أنّه كان محل تقدير قادة جمعية العلماء، وأنّ الشّيخين: أحمد توفيق المدني، والعربي التبسي قد اطلّعا على مخطوط كتابه (مقاصد القرآن)، فأعجبوا به واقترحوا نشر فصول منه في جريدة البصائر، وفعلاً نُشرت حلقات منه تباعاً مهّدت لصدوره سنة 1955 م⁶.

¹ - تفتحت الزاوية أيضا على صحف الطرقيين، فكانت جريدتا "البلاغ"، و"النجاح" المحسوبتين على هذا التيار، تُقرأ الزاوية، بالخصوص في فترة الحرب العالمية الثّانية لما توقفت صحف العلماء. عرفنا هُنيئلفمن خلال (A.N.O.M, Aix-en-Provence, 91505/52)

² - محمد الصّالح الصّديقي شهادته بتاريخ 2013/11/07 م.

³ - نسيب، زوايا العلم، مرجع سابق، ص 121.

⁴ - محمد الصغير فرج تاريخ تيزي وزو تعريب موسى زمولي، منشورات ثالة 200 الجزائر، ص 207.

⁵ - محمد الصّالح الصّديقي، شهادته بتاريخ 2017/04/02 م.

⁶ - محمد الصّالح الصّديقي، شهادته بتاريخ 2018/05/14 م.

4. مكانة الزاوية لدى الإصلاحيين:

حظيت زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي، خلال الفترة المعنية بالدراسة، باهتمام علماء الإصلاح، فقد زارها الإمام عبد الحميد بن باديس في سياق جولته التي قادته إلى العديد من جهات منطقة القبائل سنة 1931م. وحسب ما نقله عنه تلميذه باعيز بن عمر، الذي رافقه في جولته، فإن الإمام قد أُعجب بموقع الزاوية، كما أعجب بنظامها المحكم، وأنه قضى بها ليلة تركت في نفسه أثراً عميقاً¹! ومما لا شك فيه أن الإمام قد عرف أهمية هذه الزاوية، ومستواها التعليمي المتميز من خلال بعض طلبتها الذين التحقوا بدروسه في قسنطينة، وكذا علاقته الوطيدة التي كانت تربطه بالشيخ سعيد الجبري. وكان الشيخ ابن باديس قد زار الشيخ سعيد سنة 1925م، وكان حينذاك مدرسا بزاوية عبد الرحمن اليلولي².

وحظيت الزاوية أيضا برعاية صحافة جمعية العلماء، من ذلك مقالات كتبها الأستاذ باعيز بن عمر³، نوّه فيها بمكانة هذه الزاوية، ومآثرها العلمية، واعتبرها أرقى زوايا الزاوية، قديما وحديثا، ماديا ومعنويا، وأشاد الأستاذ بمستوى طلبة الزاوية وقال أن لهم نزوعا وطموحا قويين إلى فكرة إصلاح التعليم بمنطقة الزاوية التي دأبت آنذاك على صفحات الجرائد الجزائرية⁴، لذلك فقد رأى أن إصلاح إصلاح زوايا بلاد زاوية لا يتأتى إلا بإصلاح هذه الزاوية⁵.

وكان الشيخ ابن عمر يتابع باهتمام جهود الشيخ الرزقي الشرفاوي التربوية والإصلاحية بهذه الزاوية منذ عودته من الأزهر، وكذا مقالاته في الصحف الداعية لإصلاح التعليم الديني في زوايا بلاد الزاوية، وقد نشر مقالا بعنوان (إلى الشيخ الأستاذ محمد الرزقي الشرفاوي الأزهرى بالزاوية)، أشاد فيه بهذه

¹ - محمد الصالح الصديق، الشيخ الرزقي الشرفاوي حياة وآثار، شهادات ومواقف، دار الأمانة، الجزائر، ط 1، 1998، ص 43.

² - تجدر الإشارة إلى أن الإمام - آنذاك - كان في صدد البحث عن الشخصيات التي يمكن أن يتعاون معها لتجسيد مشروعه الإصلاحي، فكانت زيارته للشيخ الجبري في هذا الإطار، وقد التقى الرجلان في مدينة عزازقة، وهذا لحماية الزاوية وصرف أنظار عيون فرنسا عنها. وقد رد الشيخ الجبري جميل هذه الزيارة فزار الإمام في قسنطينة سنة 1929م. أنظر: محمد أرزقي فراد، المجتمع الزاوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية 1749-1949م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط 1، 2015، ص 625.

³ - باعيز بن عمر (1906-1977)، من أعضاء جمعية العلماء وكتّابها الناشطين، وهو من طلبة زاوية عبد الرحمن اليلولي، ثم أكمل دراسته بقسنطينة على يد الإمام ابن باديس.

⁴ - الفتى الزاوي، "الزوايا بالزاوية، وما هي الأرقى منها؟" مرجع سابق.

⁵ - الفتى الزاوي، "الزوايا بالزاوية، الشهاب ج 1، م 9، جانفي 1933م.

الجهود ودعاه إلى الاستمرار في العمل والكتابة، والصمود أمام المناوئين لأفكاره، حتى يتحقق الإصلاح المنشود للتعليم الديني في زوايا المنطقة¹.

والشيخ أبو يعلى الزواوي² الذي اهتم كثيرا بإصلاح أساليب التعليم في زوايا بلاد القبائل، وكتب في ذلك مقالات عديدة، كان يذكر زاوية عبد الرحمن اليلولي ويعتبرها أكبر زوايا بلاد الزاوة وأشهرها، وقد شبهها بـ "الجمهورية الشّورية"، لأنّ تسييرها كان بيد طلبتها³.

وأما الشيخ أحمد حماني، الذي انتدبه ابن باديس خلال صيف 1937م للقيام بجولة لصالح "الشّهاب" في منطقة القبائل، فقد دوّن انطباعاته عن هذه الرحلة في جريدة البصائر. وفي سياق حديثه عن زاوية عبد الرحمن اليلولي، وصفها بأنّها "زاوية مصلحة"، مشيدا بدروس أستاذها آنذاك، الشيخ الرّزقي الشّرفاوي الأزهري، ووصفا إياها بـ "النافعة"⁴.

هذا وقد نشرت صحيفة البصائر تقريرا حول مجريات الاحتفال الذي احتضنته زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي يوم 12 جوان 1938م، بمناسبة ختم دروس الفقه بمختصر خليل، نوّه فيه كاتبه بالجهود التربوية والإصلاحية لأستاذها الشيخ الشّرفاوي، ووصف مجريات الاحتفال⁵. ومن بين ما عثرنا عليه في صحيفة البصائر أيضا بخصوص زاوية عبد الرحمن اليلولي خلال الخمسينات، مقال لكاظم رمز لاسمه "محمد الكوفي"، أورد فيه عدد الطلبة الذين كانوا يتابعون دراستهم بالمعهد اليلولي آنذاك، كما أشار إلى الإنجازات التي تحققت فيه على يد الأستاذ محمد الصّالح الصّديق. وتضمن المقال أيضا وصفا للمعهد اليلولي سجّله الشيخ بوزيد قصيبة خلال جولته إلى بلاد القبائل، حيث قال: «إنّه أهم زاوية في الجزائر، إذ تُدرّس فيه العلوم والقرآن»⁶.

¹ - الفتى الزواوي، "إلى الأستاذ محمد الرّزقي الشّرفاوي الأزهري بالزاوة، الشّهاب ج 9، م 11، ديسمبر 1935م.

² - أبو يعلى الزواوي (1866-1952)، من أعضاء جمعية العلماء البارزين، كان مقيما بمدينة الجزائر، لكنه ظلّ مهتما ومتابعا لشؤون بلاد زواوة وبالأخصّ الدينية والتربوية والثقافية.

³ - أنظر: مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين الإمام أبي يعلى الزواوي، جمع وإعداد أحمد الرّفاعي شرفي، ج4، دار الهدى عين مليلة-الجزائر، 201، ص 276، 393.

⁴ - أحمد حماني الميلي، "حديث المتجول، منشلي- فور ناسيونال-العزازقة البصائر، العدد 129، 2 سبتمبر 1938م.

⁵ - محمد الصّغير، "احتفال عليّ"، البصائر، العدد 121، 08 جويلية 1938م.

⁶ - محمد الكوفي، "حركة الجمعية بالديار القبائليّة البصائر، العدد 159، 11 جوان 1951م.

وفي الواقع، فإنّ ما تم استعراضه من أدبيات الإصلاحيين المتعلقة بزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي، يعدّ دليلاً كافياً على المكانة التي كانت تحظى بها الزاوية وأساتذتها في نظر رجال الإصلاح، أو بالأحرى رجال جمعية العلماء. وفي رأيي فإن هذا الموقف يعدّ طبيعياً بالنظر إلى ما كان يُميّز هذه الزاوية - خلال هذه المرحلة - من انفتاح على الفكر الإصلاحي، وهو النهج الذي سارت عليه جمعية العلماء، وابتعادٍ عن الجمود والبدع والخرافات التي كانت ألد الأعداء الذين واجهتهم الجمعية في مسيرتها.

5. الإدارة الفرنسية تضع الزاوية وشيوخها تحت المراقبة:

أثناء بحثنا في الأرشيف الفرنسي عثرنا على الكثير من التقارير السرية التي تبادلها رجال الإدارة الفرنسية وأعوانها حول سير التعليم في زاوية عبد الرحمن اليلولي خلال الفترة المعنية بالبحث. اهتمت هذه التقارير - بالخصوص - بنوعية الدروس التي تُلقَى في الزاوية، وأعداد الطلبة فيها وتفكيرهم، وكذا توجهات الشيوخ وسلوكهم تجاه الإدارة وغيرها من الأمور، وهو ما يدل على اهتمام الإدارة الاستعمارية بهذه الزاوية، وإخضاعها للمراقبة. وكان قايد دوار إيلولة أومالو يُتابع أخبار الزاوية باهتمام زائد، ويزور شيوخها من وقت إلى آخر ليطمئن على أنّ الدروس فيها بعيدة عن السياسة، وأنها لا تخرج عن نطاق الدين، ودراسة الدين المقصودة هنا لا تتجاوز تعليم الوضوء والغسل والصلاة

وبخصوص الشيخ الشرفاوي مثلاً، فإنّ التقارير الفرنسية كثيراً ما أكدت على أنّه محل مراقبة سرّية مستمرة من طرف السلطات المحلية منذ عودته من الشرق والتحاقه بالزاوية³، وهذا لتخوف سلطات الاحتلال من نفوذ هذا الشيخ الأزهري، وتأثيره الديني والتعليمي! ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنّ الإدارة الاستعمارية ألزمت الشيخ في السنوات الأخيرة من حياته على الحضور إلى مقر الولاية العامة بمدينة الجزائر - من وقت إلى آخر - للبحث والمساءلة عن أنشطته، وليوقع ويثبت أنّه بعيد عن السّيالة ومن الوثائق الفرنسية السرية التي عثرنا عليها أيضاً، والمتعلّقة بفترة الخمسينات، بطاقة معلومات حول الأستاذ محمد الصّالح الصّديق الذي كان آنذاك مدرّساً بالزاوية، وقد وُضع أمام

¹ - A.N.O.M, Aix-en-Provence, Zaouia de Sidi - Abderrahmane, Carton N° 91505/52.

² - محمد الصّالح الصّديق رحلتي مع الزمان ج1، ص 181، 299. أيضاً في بعض شهاداته الشّفوية.

³ - Chef de C.M Haut – Sebaou, (16 Octobre 1953), rapport adressé au préfet d'Alger, Fr ANOM, Carton N° 91505/52.

⁴ - محمد الصّالح الصّديق رحلتي، ج1، مرجع سابق، ص 181. أيضاً شهادته بتاريخ 2017/07/12م.

اسمه عبارة (P.P.A)¹، أي أنه ينتمي إلى حزب الشعب الجزائري، وهذا طبعا ليس لانخراطه في هذا الحزب²، وإنما لأعماله في الزاوية، وخاصة محاضراته التي يتناول فيها مواضيع حساسة منها سياسة فرنسا في الجزائر، وجرائمها في الماضي والحاضر، وأفكاره وعلاقته بالمناضلين الوطنيين في المنطقة. وأيضا لماضي أسرته المعروفة بالوطنية والجهاد ضد الاستعمار . فجده الشيخ الطيب كان من قادة الجهاد في ثورة 1871م، وقد قبض عليه بعد أن جرح في إحدى المعارك، ووضع في سجن الحراش حتى توفي. ووالده الشيخ محمد البشير آيت صديق الذي كان إماماً في القرية، كان معروفاً بوطنيته، وحبّه للإصلاح، وقد تربى على يده الكثير من المناضلين الوطنيين الذين أصبحوا بعد ذلك مجاهدين وقادة في ثورة التحرير، ولم يكن هذا ليخفى على عيون الاستعمار، لذلك فقد وُصف هذا الشيخ أيضا - أي والد محمد الصالح - في وثيقة سرية بأنه «مناضل خطير في حزب الشعب»³!

6. علاقة الزاوية بمناضلي الحركة الوطنية في المنطقة:

على غرار اهتمام رجال الإصلاح بزاوية عبد الرحمن اليلولي، أيضا اهتم مناضلو الحركة الوطنية السياسية بالمنطقة بهذه الزاوية، وهذا الأمر تؤكدُه - على الأقل - شهادتان: جاءت الشهادة الأولى لحسين آيت أحمد⁴ في سياق حديثه عن فترة الأربعينات، حيث أورد في مذكراته أنه، وبناءً على دعوة من الشيخ الرزقي الشرفاوي، قضى رفقة المناضلين بنّاي⁵، والعيمش¹.

¹ - A.N.O.M, Aix-en-Provence, 91505/52, Notice de Renseignements, Caid Douar illoula – ou - malou, 03/02/1953.

² - أكد لي الأستاذ هذا في مقابلي معه بتاريخ: 2018/05/10م، ثم ذكر لي الأسباب التي دعت لانتهامه بالانتماء للحزب، وهي التي أوردتها ملخصة.

³ - A.N.O.M, Aix-en-Provence, 91505/52, Bulletin de Renseignements, Commune mixte d'Azeffoune, 10/01/1952.

⁴ - حسين آيت أحمد، (1926 - 2015)، من عين الحمام بولاية تيزي وزو. ناضل منذ مطلع شبابه في حزب الشعب وساهم في تشكيل المنظمة الخاصة التي تولى قيادتها مدة من الزمن. في نوفمبر 1954م كان ضمن الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، أُلقي عليه القبض في حادث اختطاف الطائرة سنة 1956م، وأطلق سراحه في 1962م.

⁵ - بنّاي وأعلي، (1917 - 1957)، من قرية جمعة نصهاريج بلدية مقلع بولاية تيزي وزو. مناضل في حزب الشعب.

ثلاثة أيام في زاوية عبد الرحمن اليلوي، قدّموا خلالها محاضرات حول الحركة الوطنية، وتاريخ المقاومة الجزائرية، لاسيما مساهمة طلبة سيدي عبد الرحمن اليلوي في انتفاضة 1871م. كما أشار إلى أنّ الطلبة أبدوا استعدادهم لخدمة الحركة، يقصد حزب الشعب². وأوضح آيت أحمد في شهادته أنّه رغم الضّرر الذي أصاب خلايا الحزب القليلة التي كانت تنشط في منطقة القبائل الصغرى، بسبب عمليات القمع إثر مجازر ماي 1945م التي وقعت قريبا من هذه الجهة، فقد بدى لهؤلاء المناضلين أنّه من السّهل التوغّل سياسيا في منطقة القبائل الصغرى، وأنّ هناك إمكانيات قويّة لتحقيق هذا بعد زيارتهم لزاوية سيدي عبد الرحمن³. ولا شك أنّ من الإمكانيات المقصودة هنا، استعداد طلبة الزاوية الذين ينتمون إلى تلك الجهة للانخراط في الحزب وتكوين خلايا له في جبهتهم.

والملاحظ هنا، هو أنّ شهادة حسين آيت أحمد جاءت مقتضبة، لذلك فإنّنا لا نعلم إذا ما تكرّر مثل هذا اللقاء أم أنّه وقع مرّة واحدة فقط، لكن دعوة الشّيخ الشّرفاوي لهؤلاء المناضلين إلى الزاوية، وقيامهم بالنّشاط المذكور وسط الطّلبة، يجعلنا نرجّح احتمال أنّ يكون الشّرفاوي على علاقة بهؤلاء المناضلين قبل ذلك، فهذه الدعوة لا يمكن أن تقع لو لم يكن هناك سابق معرفة وعلاقة بين الشّيخ وهؤلاء المناضلين، ولو لم تكن بين الطّرفين ثقة متبادلة.

أما الشّهادة الثّانية فهي للأستاذ محمد الصّالح الصّديق، وتعود إلى فترة الخمسينات حين كان مدرّسا بالزاوية، حيث أشار إلى أنّ التطور الذي أحدثه في الزاوية في تلك الفترة، ترك أثرا كبيرا في نفوس الناس وفي مختلف الأوساط، فقد كان الطلبة عند عودتهم إلى أسرهم وقراهم خلال العطل، يتحدثون إلى ذويهم وإلى من يتصلون بهم عن المنهاج المتطور في التعليم، وعن المكتبة والمحاضرات التي كان يلقيها في مواضيع حسّاسة. وقد وصلت هذه الأخبار إلى مسامع المناضلين في المنطقة، ومنهم المرحوم محمد إعزورن، الذي كان على علاقة وطيدة بمناضلين تمرّدوا على فرنسا والتجأوا إلى الجبل، وهم: كريم بلقاسم، وعمر أوعمران، وعلي ملاح. ونظرا لعلاقة محمد إعزورن المتينة بالأستاذ محمد الصّالح

¹ - علي العيّمش، (1925-1946)، من قرية "إشريعون" ببلدية تيزي راشد، مناضل نشيط في حزب الشّعب، توفي وعمره 21 سنة إثر إصابته بنوع حاد من التيفوئيد أثناء اعتصامه بالجبال بعد أن صار محل بحث من طرف السلطة الفرنسية.

² - Hocine Ait Ahmed, Mémoire d'un combattant, l'esprit d'indépendance 1942- 1952, édition Bouchène, Alger, 1990, p.73.

³ - Ibid, p.69-70.

ووالده¹، وإعجابه المتميز بنشاط الأستاذ ووطنيته، فقد كان يحدث هؤلاء المناضلين عن الأستاذ، وعن توجهه الوطني، وعن نظرته لمستقبل الجزائر، وتنويهه الدائم بحزب الشعب وجمعية العلماء ودورهما في تحرير الجزائر. وقد أثار ذلك رغبة المناضلين في لقائه والتعرف عليه عن قرب².

ومن هذا المنطلق جاءت لقاءات الأستاذ مع هؤلاء المناضلين قبل اندلاع الثورة التحريرية، وذلك بوساطة المناهدة محمد عزورن، حيث التقى مع أوعمران ثلاث مرات، ومع كريم مرة واحدة، ومع علي ملاح مرة واحدة أيضا، وكل هؤلاء أصبحوا عقداً في ثورة التحرير. وقد تمت هذه اللقاءات في جوٍّ من الكتمان الشديد، والظروف الحرجة، والمخاوف الشديدة، لأن هؤلاء المناضلين كانوا محل بحث من طرف السلطات الفرنسية. أما الحديث في هذه اللقاءات فكان حول نوعية الدروس في الزاوية، ومدى اهتمام الطلبة بمستقبل الجزائر، وعن واقع الجزائر تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي، وكيفية خلاصها من هذا الاحتلال، وعن أوضاع تونس وغيرها من البلاد العربية وحركات التحرر فيها، وعن إمكانية اندلاع الثورة في الجزائر وما تقتضيه من إعداد وتضحية³. إلخ

7. الزاوية بعد اندلاع الثورة التحريرية:

يتضح من مجريات الأحداث أنّ العلاقة الوثيقة التي جمعت بين الأستاذ محمد الصّالح الصّديق، المدرس بالزاوية، وجماعة الوطنيين في المنطقة الذين كانوا يحضّرون للثورة في الخفاء، قد جعلت الزاوية مهيأة لاحتضان العمل الثوري منذ بداياته الأولى. فقد ذكر الأستاذ في مذكراته أنّه في صبيحة اليوم الأوّل من اندلاع الثورة، اتّصل به المناضل محمد عزورن وأبلغه أنّ قيادة الثورة في المنطقة، وعلى رأسها كريم بلقاسم، قد كلّفته بمهمة الإشراف على جمع المال والسّلاح، على أن يبقى أستاذاً في الزاوية للتمويه على الفرنسيين⁴. وروى لي الأستاذ أيضاً أنّ الزاوية تحوّلت خلال هذه الفترة إلى معقل للثورة، يزورها المجاهدون يومياً تقريباً، فيتناولون العشاء، ويتحدّث إليهم، وإذا كان عددهم كبيراً يُلقى عليهم درساً في الجهاد وبطولات الإسلام، ومن وقت إلى آخر يلتقي بالمجاهد محمد عزورن ليسلم له ما جمعه من مال

¹ - يذكر الأستاذ أنّ والده الشيخ البشير - الإمام بقرية أبيضار - كانت له علاقة متميّزة بمناضلي الحركة الوطنية بالمنطقة، منهم: محمد عزورن، قاسي إحدادن، حوّالي، أوشريقي، علي أعجموط، وغيرهم من المناضلين الذين فجّروا الثورة بالمنطقة، أو التحقوا بها في ساعاتها الأولى، فكان هؤلاء يُصَلّون الجمعة وراءه، إذ يفضلونه على الأئمة الآخرين لوطنيته ولخطبه الحيّة، وكانوا يترددون على زيارته في البيت أيام العطل الصّيفية بالخصوص، فيعقد لهم مجالس يحديثهم فيها عن الإسلام، وعن تاريخ الجزائر، وعن التحرّر والاستقلال وما يقتضيه من تكاليف. (رحلتي، ج1، ص 316-317).

² - محمد الصّالح الصّديق رحلتي، ج1، مرجع سابق، ص301.

³ - تفاصيل أكثر عن هذه اللقاءات أنظر: محمد الصّالح الصّديق رحلتي، ج1، مرجع سابق، ص302-316.

⁴ - نفسه، ص324.

وما اشتراه من سلاح¹. وظل الأستاذ يتردد بين الزاوية والبيت، ويؤدي هذه الأدوار مدة عام وثلاثة أشهر، إلى أن حامت حوله الشبهات، فأوقف واستُجوب من طرف الدرك والجيش الفرنسي أربع مرات، كاد أن يُعدم في المرة الأخيرة²، وهنا قامت قيادة الثورة بتهريبه إلى تونس عن طريق فرنسا بأوراق مزورة في ربيع سنة 1956م³، ليواصل نضاله في الخارج حتى الاستقلال.

أما الزاوية فقد ظلت محطة يلتقي فيها المجاهدون للتخطيط، وينطلقون منها للقيام بالعمليات الحربية. وفيها تم تأسيس مصلحة الأوقاف التي قامت بدور إيجابي وفعال في كل ما يتعلق بالقضاء والفتوى والإصلاح وفك المنازعات في المنطقة طوال ثورة التحرير، وقد عُيّن على رأسها الشيخ الصادق مشوّالطي تولى إدارة التدريس في الزاوية خلال هذه المدة (أواخر سنة 1956م)⁴، كما أن أغلب من عُيّنوا في مصلحة الأوقاف هم ممن درسوا في زوايا المنطقة وعلى رأسها الزاوية اليلوليتورغم الظروف الصعبة، فقد استمر عمل الزاوية إلى أن أُخليت بأمر من قيادة مركز "بوهير" العسكري في شهر ماي 1957م⁵، حيث سيق كل طلبة الزاوية إلى قرية "تابودة"، ثم إلى مركز بوهير، وبعد أيام أخذوا إلى قنطرة "بوهير" لقتلهم، لكن في الأخير عُدل عن قتلهم وأُخذوا إلى سجن عزازقة ولم يُطلق سراحهم إلاّ بوعد وتدخل من القائد

¹ - محمد الصالح الصديق، شهادته بتاريخ 2018/05/14م.

² - نفسه. وذكر الأستاذ أنّ الضابط الفرنسي حين أوقفه في المرة الأخيرة عصره عصرًا بأسئلته حول دراسته في الزيتونة، وعلاقته بالمجاهدين، ورغم أنّه اجتهد في دفع التهم المنسوبة إليه، فإنّ الضابط الفرنسي لم يُصدّقه، بل إنّه أخرج له كتابه مقاصد القرآن الذي طُبّع حديثًا، وقال له: إنّ رأساً يصدر عنه هذا الكتاب يستحيل أن يكون صاحبه على الحياد. أنظر كتابه: مدارس ثلاث لولاها ما كنّا، دار النعمان، الجزائر، ط1، 2017، ص197-199.

³ - كان سفر الأستاذ مغامرة خطيرة، وقد روى تفاصيلها في مذكراته.

⁴ - محمد الصالح الصديق، من أعلام منطقة القبائل، ج 2، مرجع سابق، ص 161، أيضا: رحلة في أعماق الثورة، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 56. أيضا: عبد العزيز وعلي، أحداث ووقائع في تاريخ ثورة التحرير بالولاية الثالثة، دار الجزائر للكتب، الجزائر، 2011، ص338.

⁵ - عبد العزيز وعلي، مرجع سابق، ص338.

⁶ - نفسه، ص197.

⁷ - أحمد ساهي، دورية من الولاية الثالثة عام 1957م، جسيم العبور إلى تونس، (كتاب مرقون)، ط5.

⁸ - محمد عبد الرحمن قازو، (طالب بالزاوية)، شهادة شفوية بتاريخ 2014/02/26م.

⁹ - أحمد ساهي، أعلام من الزواوة دار الأمل، تيزي وزو - الجزائر 2015، ص 77. لم يوضّح الكاتب فحوى وعد القائد، وربما ضمان عدم عودة الطلبة إلى الزاوية.

هذا ولم تكتف فرنسا بتعطيل الدراسة في هذه الزاوية التي ظلت قلعة للعلم منذ تأسيسها في القرن السابع عشر، فعمدت في 3 جوان 1957م إلى قنيلتها وتدمير أغلب مرافقها: بيت الطلبة، والمطبخ والمصلى والعشة والجامع، والنوالة والميضأة والمكتبة وغير¹لهو حسب شاهد عيان فإنَّ النَّار قد ظَلَّتْ أياما وهي تلتهم محتويات مكتبتها العامرة² فضلاً عن كتل الورق من كل الألوان والخطوط التي تناثرت، وعبثت بها الرياح عبر عبر محيط الزاوية، والمنحدر السَّحِيق المخيف للزاوية الذي يستحيل على إنسان أن يُلْقِها³عاً بذلك تراث ثراث هام من الكتب والمخطوطات، بما فيه المخطوط الهام والفريد من نوعه المتمثل في القانون الداخلي للزاوية الذي وضعه مؤسس الزاوية⁴

وبخصوص مصير طلبة الزاوية، فمنهم من أُرسل إلى الخارج ضمن بعثات الطلبة لمواصلة الدراسة في تونس وغيرها من البلاد العربية. وقد اهتم العقيد عميروش بصفة خاصة بهذه البعثات، وكان طلبة الزوايا والمدارس الحرة في المنطقة يُجْمَعون في زاوية أحمد بن إدريس⁵، حيث يُجرى لهم امتحان الانتقاء تحت إشراف الشيخ الصَّادق مشواط⁶، آخر أساتذة زاوية عبد الرحمن الرحمن اليلولي، ومسؤول مصلحة الأوقاف على مستوى الولاية الثالثة⁷، ومن الطلبة من التحق بصفوف الثورة في الجبال. وعن دور الزاوية في دعم الثورة يؤكِّد الأستاذ محمد الصَّالِح الصَّديق أنَّ عدد المجاهدين والشهداء من هذه الزاوية، بين الذين أمهوا دراساتهم والتحقوقا ببيوتهم، والذين بادروا إلى الالتحاق بالثورة عند اندلاعها ليطبَّقوا ما تعلموه عن الجهاد، قد يفوق الألف طالب⁸. وتكتسي هذه الشهادة أهمية خاصة، لأنَّ صاحبها قضى بالزاوية سنوات طويلة دارساً ومُدَرِّساً، وظل بعد ذلك مهتما بتاريخ الزاوية وشيوخها، ما يجعله من أبرز العارفين بتاريخ الزاوية.

- خاتمة:

¹ - نفسه، ص 52.

² - محمد الصَّالِح الصَّديق الشيخ الرزقي الشرفاوي مرجع سابق، ص 44.

³ - أحمد ساحي، مرجع سابق ص 77-78.

⁴ - ذكر هذا أحمد ساحي الذي شاهد ذلك بنفسه. كتابه: أعلام المذكور أنفاً 2 ص

⁵ - زاوية تقع بالقرب من زاوية عبد الرحمن اليلولي، والمسافة بين الزاويتين لا تتعدى 800 متر.

⁶ - محمد عبد الرحمن قازو، شهادة شفوية بتاريخ 26/02/2014م. أيضاً: أحمد ساحي، مرجع سابق، ص 77.

⁷ - تولى الشيخ مشواط مسؤولية هذا الجهاز حتى سنة 1958م، ثم أُسندت للمرحوم أحمد قادري، وهو خريج

زاوية عبد الرحمن اليلولي، وتلميذ الشيخ الشرفاوي فيها. عبد العزيز وعلي، مرجع سابق ص 38

⁸ - محمد الصَّالِح الصَّديق رحلة في أعماق الثورة مرجع سابق، ص 56.

يتضح مما سبق، أنّ زاوية عبد الرّحمن اليلولي قد شكّلت خلال فترة الاحتلال إحدى المراكز الهامة للعمل التربوي والإصلاحي في منطقة القبائل، حيث اضطلعت بدور محوري في تعليم علوم الدين، واللغة العربية، في وقت كانت فيه السياسة الفرنسية تسعى إلى طمس مقومات الهوية الوطنية. ومما أهّلها لهذا الدور، أنّ من تولوا التدريس فيها خلال فترة البحث، كانوا جميعا علماء أزهرين وزيتونيين، تميّزوا بكفاءتهم العلمية، وتفانيهم في أداء رسالتهم التربوية في الزاوية.

وفضلا عن خاصية الاستقلالية في التسيير، وخضوعها لنظام محكم، تميّزت الزاوية خلال فترة البحث بلتّهاج خط إصلاح يستمد روحه من مبادئ حركة الإصلاح والتجديد الإسلامي التي تأسست على يد رواد الإصلاح الحديث، أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، فكانت تحارب البدع والخرافات، وتنشر تعاليم الإسلام الصّحيح، وهو النهج نفسه الذي انتهجته جمعية العلماء في الجزائر. والملاحظ في مسيرة الزاوية خلال هذه الفترة أيضا، هو أنّها اضطلعت بأدوار متعددة، بحيث لم يقتصر دورها على الجانب التربوي والإصلاحي، بل شمل أيضا المجال النضالي بمعناه الواسع. فالكثير من خريجيها قد خدموا البلاد، قبل الثورة كمعلمين وأئمة في حقل التعليم والإصلاح، وكمناضلين في حقل النضال السياسي. أما خلال الثورة التحريرية، فقد تحوّلت الزاوية منذ البداية إلى معقل للمجاهدين، والتحق الكثير من طلبتها وأساتذتها بالثورة كمجاهدين وضباط وإطارات، استشهد بعضهم في معركة التحرير، بينما امتد العمر بأخريين فخدموا الجزائر المستقلة في ميادين التعليم والإمامة والوعظ والإرشاد، وفي مجال التأليف.

وعلى ذكر التأليف، لا بد أن نسجل كلمة عن الأديب والكاتب المكثّر، الأستاذ محمد الصّالح الصّديق الذي تجاوزت مؤلفاته - عند كتابة هذه السّطور - الثمانين كتابا بعد المئة، في مجالات مختلفة، ولا يزال عطاؤه الفكري متواصلا، وقد بلغ من العمر مئة عام. فهذا الأديب، بعد هذا المجد العلمي الذي بناه عبر سنين طويلة من الجهد المتواصل، يعترف بفضل تلك السّنين التي قضّاها في حلقات أستاذه الرّزقي الشّرفاوي الأزهري بزاوية عبد الرّحمن اليلولي، حيث أكد في مذكراته، أنّه في رحاب هذه الزاوية بنى الأرضية المتينة لمستقبله العلمي، وذلك من خلال دراسته المنهجية والمنظمة على يد هذا العالم، والتي قوامها التوجيه الصّحيح، والنّصح الدائم¹.

وفضلا عن ذلك، فقد تولى عدد من خريجي الزاوية مناصب عليا في الدولة بعد الاستقلال، نذكر منهم على سبيل المثال: المرحوم العربي سعدوني وزير الأوقاف في أواخر الستينات، والأستاذ محمد الشّريف خروبي والي ولاية تيزي وزو، ثم وزير التربية الوطنية في السّبعينات.

¹ - محمد الصّالح الصّديق وحلتي، ج1، مرجع سابق، ص15.

وفي الختام أشير إلى أنّ الزاوية قد أُعيد بناؤها في مرحلة ما بعد الاستقلال، حيث تم تحويلها إلى معهد وطني لتكوين الأئمة وإطارات السلك الديني، افتُتح رسمياً سنة 1984م، وأُطلق عليه اسم الشيخ عبد الرحمن اليلولي. ولا شك أنّ اختيار هذا الاسم هو اعتراف بما أسهمت به الزاوية في مجالي التعليم والمقاومة، وفي الوقت ذاته هو إحياء لذكرى مؤسسها الذي لم يترك خلفه أولاداً، لكنه ترك طلبية أوفياء، سَيروا الزاوية باقتدار، وحرصوا على ضمان استمراريتها في أداء رسالتها على أحسن وجه.

قائمة المصادر والمراجع:

- باللغة العربية:

1. أحمد الزفاعي شرفي، مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين، الإمام أبي يعلى الزواوي، ج 4، دار الهدى عين مليلة - الجزائر، 2011.
2. أحمد حماني الميلي، "حديث المتجول، مدشلي- فور ناسيونال- العازقة"، البصائر، العدد 129، 2 سبتمبر 1938م.
3. أحمد ساحي، أعلام من الزاوية، دار الأمل، تيزي وزو - الجزائر، 2015.
4. أحمد ساحي، دورية من الولاية الثالثة عام 1957، جسيم العبور إلى تونس (كتاب مرقون غير منشور).
5. الحاج محند السعيد أمقران، (من طلبية الزاوية)، شهادة بتاريخ: 2014/02/26م.
6. الززقي الشرفاوي، الدروس الإنشائية لطلبة الزوايا (مخطوط، نسخة إلكترونية بحوزتي).
7. الفتى الزواوي، "الزوايا بالزاوية"، الشهاب، ج 1، م 9، جانفي 1933م.
8. الفتى الزواوي، "الزوايا بالزاوية، وما هي الأرق منها؟"، الشهاب، ج 11، م 7، نوفمبر 1931م.
9. الفتى الزواوي، "إلى الأستاذ محمد الززقي الشرفاوي الأزهري بالزاوية"، الشهاب، ج 9، م 11، ديسمبر 1935م.
10. باعيز بن عمر، "شعور طلبية الزوايا بالزاوية نحو جمعية العلماء"، الشهاب، ج 8، م 7، أوت 1931م.
11. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
12. عبد العزيز وعلي، أحداث ووقائع في تاريخ ثورة التحرير بالولاية الثالثة، دار الجزائر للكتب، الجزائر، 2011.
13. محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي في ظل العُرف والثقافة الإسلامية 1749 - 1949م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط 1، 2015.

14. محمد السعيد بن زكري، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل ، تحقيق وتعليق محمد عبد الحليم بيشي، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2016.
15. محمد الشريف بن الشيخ، أصداء من الماضي، دار الحبر، الجزائر، ط 1، 2009.
16. محمد الصالح الصديق، (من أساتذة الزاوية)، عدة مقابلات بين: 2013 و 2018.
17. محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، ج 1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2008.
18. محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، ج 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
19. محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، ج 2، دار هومة، الجزائر، ط 1، 2013.
20. محمد الصالح الصديق، الشهيد الشيخ محمد الطاهر حفيد الشيخ الشريف الإفليسي ، دار الأمل، تيزي وزو - الجزائر، ط 1، 2017.
21. محمد الصالح الصديق، الشيخ الرزقي الشرفاوي حياة وآثار ، شهادات ومواقف، دار الأمة، الجزائر، ط 1، 1998.
22. محمد الصالح الصديق، رحلة في أعماق الثورة، دار هومة، الجزائر، 2009.
23. محمد الصالح الصديق، رحلتي مع الزمان، ج 1-2، دار هومة، الجزائر، 2010.
24. محمد الصالح الصديق، في شريط الذكريات، ج 3، دار هومة، الجزائر، ط 1، 2016.
25. محمد الصالح الصديق، "ماذا تعرف عن زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلوي؟" جريدة العصر، العدد 13، 9 جويلية 1981.
26. محمد الصالح الصديق، مدارس ثلاث لولها ما كنت، دار النعمان، الجزائر، ط 1، 2017.
27. محمد الصغير بن لعلا، علماء من زاوية، ج 1، دار الأصاله، الجزائر، ط 3، 2019.
28. محمد الصغير فرج، تاريخ تيزي وزو، تعريب موسى زمولي، منشورات ثالة، 2007، الجزائر.
29. محمد الصغير، "احتفال علمي"، البصائر، العدد 121، 08 جويلية 1938 م.
30. محمد الكوفي، "حركة الجمعية بالديار القبائلية"، البصائر، العدد 159، 11 جوان 1951 م.
31. محمد بوزيد قصبية، "حركة جمعية العلماء بعمالة الجزائر"، البصائر، العدد 153، 30 أفريل 1951 م.
32. محمد حسن علي، عبد الرحمن علي، الشيخ السعيد الجبري، نصف قرن عن رحيله ، دار الأمل، د.ت.
33. محمد عبد الرحمن قازو، (من طلبة الزاوية)، شهادة شفوية بتاريخ: 2014/02/26 م.
34. محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، دمشق- الجزائر، د.ت.
35. يحيى التومي، (من طلبة الزاوية)، شهادة بتاريخ: 2014/06/18 م.

- باللغة الأجنبية:

36. A.N.O.M, Aix-en-Provence, Zaouia de Sidi - Abderrahmane, Carton N^o 91505/52.
(مجموعة من التقارير الأرشفية المتعلقة بسير التعليم في زوايا بلدية سيباو الأعلى المختلطة)
- 37.A. Hanoteau, A. .Letournoux, **la Kabylie et les coutumes kabyles**, T2, éditions Bouchène, Alger, 2003.
- 38.Hocine Ait Ahmed, **Mémoire d'un combattant, l'esprit d'indépendance 1942-1952**, édition Bouchène, Alger, 1990.